على إعادة العضوية لاتحاد الكتاب المصريين، شريطة إعلان هذا الاتحاد عن التزامه بالنظام الأساسي للاتحاد العام. إلا أن الاتحاد في مصر لم يبادر إلى الاستجابة إلى ذلك، لأنه يعلم أن النظام الأساسي يقف بحزم ضد التعامل مع العدو.

وأستغرب هنا دفاع **القاهرة** عن اتحاد يأبى أن ينضوي تحت اللافتة العربية، ويأبى إلا أن يكون نصيراً قوياً للتطبيع الثقافي. وأستغرب كيف لا يكون هناك فصل بين اتحاد الكتاب المصريين من جهة، وبين المثقّفين والمبدعين والأدباء القوميين والتقدميين من جهة ثانية! وأؤكد هنا، أن صلتنا بالأدباء والكتاب المصريين لم تنقطع قط، ولكن من خارج إطار الاتحاد، وفي حدود المواقف المعلنة التي تنسجم مع تطلعات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب وأهدافه، وأخص بالذّكر أولئك المنتسبين إلى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، الذين وقفوا منذ أمد طويل ضد التطبيع الثقافي مع العدو، على غير ما فعل اتحاد الكتاب المصريين. كما أؤكد أننا نعرف وزن مصر الثقافي، وأننا نحرص دوماً على وجود المبدعين المصريين في كل ندواتنا العربية ومؤتمراتنا الأدبية، وأكتفي بالإشارة إلى أن «اللجنة العربية لمقاومة التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني» التابعة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، تضمّ في عضويتها حوالي أربعين أديباً ومثقفاً مصرياً، من أصل مائة وخمسة وثلاثين عضواً من جميع الأقطار العربية.

وأشير ببالغ الحزن والأسى، إلى مغالطة أخرى اقترفتها افتتاحية **القاهرة**، وهي التي جاءتْ في قول الكاتب إنه يتوجب عليه ـ أي أنا ـ أن يجمّد عضوية رابطة الكتاب الأردنيين في الاتحاد أيضاً، «لأن الأردن وقع معاهدة الصلح مع إسرائيل. ولكنّ المفارقة المؤسية ـ الهزلية، أنه أثناء توقيع المعاهدة الأردنية الإسرائيلية قال قعوار في تعليقه على حادث نجيب محفوظ: إن السكين التي اتجهت نحو رقبة نجيب محفوظ، لم تستهدف شخص نجيب محفوظ بقدر ما استهدفت إرسال إشارة تحذيرية إلى عرفات». ويعلق كاتب افتتاحية **القاهرة** على ذلك قائلاً: «ولم يجرؤ الكاتب الأردني، وهو الأقرب إلى مشهد التوقيع الأردني الإسرائيلي، على افتراض أية وجهة أخرى لرسالة السكين»! وهنا أبيّن:

أولاً: أنني لا أجمد عضوية اتحاد أو رابطة، ولا أرفع تجميداً عن عضوية اتحاد أو رابطة، والذي يجمد أو يرفع التجميد هو المؤتمر.

ثانياً: لقد أوضحتُ سابقاً ملابسات تجميد عضوية اتحاد الكتاب المصريين، ولعل هذا التوضيح يكفي لدحض المداعبة الثقيلة التي تفترض تجميد عضوية رابطة الكتاب الأردنيين. ولمزيد من التوضيح أقول إنّ قيادة الرابطة قامت بدعوة الهيئة العامة، واتخذت قرارات على غاية من الأهمية، ضد التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني... في حين أنّ قيادة اتحاد الكتّاب المصريين شرعت في التسابق نحو التطبيع، ونحو إعلان التأييد لكامب ديفيد، وفي زيارة إسرائيل. ولعل أبرز شخصية قيادية في اتحاد الكتاب المصريين، هو الأمين العام الأسبق للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، يوسف السباعي، الذي عرفنا جميعنا كيف كانت نهايته في قبرص!

ثالثاً: لقد وقفنا ضد المعاهدة الأردنية مع العدو الصهيوني، وشاركنا في اعتصام ضدها، وفي كتابات عديدة نشرت في الصحف الأردنية، ولا نخشى أن نكون ضد أوسلو وضد وادي عربة، مثلما كنا من قبل ضد كامب ديفيد. ولعل الجبناء وحدهم يفتقدون الجرأة في الآخرين، حينما يجهلون من هم الآخرون!

رابعاً: عندما وقع حادث الاعتداء على نجيب محفوظ، وعند الإجابة على سؤال **الحياة**، لم يكن الأردن قد وقّع معاهدة الصلح مع العدو. وهذا يكفي للرد على تداعيات قلم التحرير الذي انساب بلا منطق وبلا معرفة، بقصد الاتهام وإثارة الزوابع التي ليس لها ضرورة أو تفسير أو مبرّر.

إن مجلة **القاهرة** مدعوة إلى أخذ جرعات كبيرة من الرصانة، واحترام شروط الحوار، والابتعاد عن البطولات الوهمية والمعارك الدونكيشوتية. وأي استخفاف بسهيل إدريس وفهمي هويدي وجلال أمين وصافيناز كاظم والعبد الفقير إلى الله، لن يخفف من أوزانهم أو من ثقة قرائهم بهم، لكنه سيخفف ـ حتماً ـ من وزن المجلة **القاهرة**، لأنها حادثٌ عن الموضوعية، وأرادت أن تصدر فرمانات حرمان بحق أصحاب الاجتهاد والرأي، وصكوك غفران للذين يهتفون للتطبيع ولتحويل النظر المصري بخاصة، والعربي بعامة، عن قضيته الرئيسية، مع أعدائه الرئيسيين!

وفي النهاية أقول، إذا كانت السكين فوق رؤوس الجميع كما قال كاتب افتتاحية **القاهرة**، أفلا تعرف هيئة التحرير أن عليها أن تكون أكثر شجاعة في تحديد هوية أعدائها وخصومها؟ وإذا كانت السكين فوق رؤوس الجميع، فهل تقول لنا هيئة التحرير شيئاً عن ماهية هذه السكين، وهل يمسك بقبضتها المسلمون المصريون أم الصهاينة العنصريون؟

فخري قعوار (عمان)

استعبار لا استعمار، يا دكتور!

أخي الدّكتور سهيل ادريس.

نتلقّى مجلتكم **الآداب** هنا في بلادنا بتشوّق وبتقدير. ونتعلّم منها أصول الحوار الحضاري واحترام الرأي الآخر.

ولكنني قرأت مقالاً في العدد ٨ و ٩ آب وأيلول ١٩٩٤، بقلم د. جمال الدّين الخضور بدا لي أنّه أراد به ـ فيما أراد ـ أن يقنعني بأنّني، وغيري ممن يسمّيهم بـ «الجوقة الأدونيسيّة» أو بجماعة «أدونيس الغرناطوي»، ناقصو دين وعقل! غير أنّ هذه الشّراسة «الثقافية» في تكفير الرّأي الآخر لا تستطيع أن تخفي هدفه الأساس من وراء هذا المقال الأنتروبولوجي... وهو تكفير وتخوين القيادة الفلسطينية التي دمغها كاتب المقال بالمسؤولية عن «الاستسلام العربي بصيغته العرفاتيّة». ويكون د. جمال الدين الخضور، بهذا الدّمغ البطولي، بعيد النّظر من حيث أنّه وجد المبرّر الجاهز أمام الأنظمة العربية في تهافتها الحالي على إجراء الصّلح الشّامل مع إسرائيل على حساب الشّعب العربي الفلسطيني. لقد عاش المثقّف العربي حوالي نصف قرن وهو يعلّق عدم شجاعته الأدبية على شمّاعة «الشهيد الفلسطيني». أما وقد قرر الشهيد الفلسطيني أن ينزل عن إطاره الأسود، ويعيش كما الناس، فيبدو أنّ هذا المثقّف العربي يُعدّ العُدّة للانتقال إلى تعليق عدم شجاعته الأدبيّة على شمّاعة «الخائن الفلسطيني».

إن من حقّ الكاتب التّعبير عن آرائه. ومن حقّنا عليه أن نطالبه بالتواضع العلمي في وضع المعادلات وفي اكتشاف القوانين الاجتماعية الجديدة، من مثل قوله إنّ «الهوية العربيّة لا تكون إلاّ بالاشتباك التناحري مع «الهوية

الصهيونية». فإنّه بهذه المعادلة وهذا القانون، ينفي وجود الهوية العربيّة على مدى الدّهر الذي سبق ظهور الحركة الصهيونيّة!

ومن حقّنا عليه، بصفة كونه عالماً أشبه بالموسوعة في رجل واحد، أن يكون يقظاً إلى الأخطاء المطبعيّة وألاّ يبني على خطأ مطبعي - خطؤه ظاهر من السّياق نفسه - نظرية متكاملة. إنّني أعني الخطأ المطبعي الّذي ظهر في مقابلتي في مجلة **المجلة**) العدد ٧٤٤ بتاريخ ١٥ - ٢١ أيار ١٩٩٤) حيث جاء على لساني أنه «انشغلت ثقافتنا (الفلسطينية في زمن الانتداب البريطاني - إ. ح.) في الكفاح ضدّ الفاشيّة والكفاح ضدّ العروبة والكفاح ضد الاستعمار وضدّ العنصريّة الصهيونيّة». من الواضح أنه سقطت، من كلامي الأصلي، كلمة «أعداء». أي أنّنا «انشغلنا بالكفاح ضدّ أعداء العروبة» أو ما يشبه هذا المعنى لأنني كنت أجيب على أسئلة المحرّر إجابات شفهيّة وعفو الخاطر. لقد تنبّهت إلى هذا الخطأ المطبعي حين جاءَني متأخّراً العدد المذكور آنفاً من **الآداب**. فلم أشعر بالحاجة إلى تصحيحه، وذلك من منطلق إيماني بسلامة فهم القرّاء وإدراكهم أن أمثالي لا رابطة اجتماعية لهم سوى العروبة أو، الأصحّ، العروبيّة كما علّمنا مديرنا عجاج نويهض.

ويذكّرني هذا الفهم غير السّليم بواقعة لطيفة وقعت مع زميل لنا في أحد الصفوف الابتدائيّة. فقد طلب منا معلم اللغة العربية أن نكتب موضوع إنشاء عن بيت الشعر:

«لولا الحياء لهاجني استعبار

ولزرت قبرك والحبيب يُزار»

فصحّف كلمة «استعبار» على أنها «استعمار». فأنشأ موضوعاً أدبياً في مثالب الاستعمار البريطاني وكلّ استعمار على وجه الأرض. فحطّم مُعَلّمُ اللغة العربية المؤشر على يديْ هذا الطالب النّجيب وعلى جسده من شدّة الضّرب.

ولا أعتقد أن مثل هذا التهذيب يُجدي نفعاً. ودليلي ما قرأناه ونقرأه.

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

إميل حبيبي (حيفا)

١٩٩٤/١٠/١٩

التشدّد... والتّساهل

الأخ الدكتور سهيل ادريس

تحية طيبة وبعد...

فإذا فاتني شرفُ الكتابة إليكم في ندوة تكريم **الآداب** المجلة العربية التي شكّلت الكثيرَ في أدبنا وفكرنا العربي المعاصر، فلن أدع الفرصة الآن تفوتني في خواطر أبعث بها إليكم وقد علقت في ذهني بعد قراءة عدد **الآداب** الصادر في أكتوبر ١٩٩٤.

فقد حفل هذا العدد بكلمتكم القوية المعبّرة في صدق عن الرفض العربيّ لكل محاولة من محاولات التطبيع الجارية مع العدو الإسرائيلي. وقد كانت رؤيتكم واضحةَ المعالم في كلمتكم بعنوان «ثقافتان وواقعان» تقابلها كلمةُ الأديب الكبير أدونيس وقد حسبتُها في مجملها رداً على كلمتكم.. ولكنه وصفها بقوله «ليست ردًّا وإنما هي توضيح أكتبه لرغبة الصديق العزيز الدكتور سهيل. وآمل أن يتاح لي قريباً أن أكتب مقالاً مطوّلاً يتناول مختلف القضايا الثقافية التي تثيرها مسألة السلام مع إسرائيل»(*).

وقد رأيت في كلمتكم ما ينهض دفاعاً مشروعاً وقوياً عن الثقافة العربية.. والواقع العربي المتمرد في جبهته الشعبية العريضة على القرارات الفوقية المحكومة بتوجيهات السياسة الدولية والنظام العالمي.

وهذا الدفاع في حدّ ذاته هو موقف له أُصوله وجذوره بين المواقف الطارئة والهشّة.. ومثل هذا الموقف الرافض يعتبر في تقدير أدبنا أدونيس من المواقف المتشدّدة. فهو يقول «إذا كانت مهمّةُ السياسي التشدُّدَ، فليست مهمةُ المثقف التساهلَ بل تحريك أفكار وطرح رؤى».. وهذه النظرة أرادها بديلاً للموقف المتشدّد الرافض.. ولكن أليس في تحريك وطرح أفكار ورؤى ما يقتضي نوعاً من التشدّد والقوة وسط تيارات صاخبة لا يسمع الإنسانُ فيها إلا الصوتَ القويَّ الهادرَ الملتزم؟

وهذا الموقف في مواجهة فكر معادٍ أكثر تشدداً وعنفاً وعنصرية بغيضةً يوصف بأنه موقف متشددٌ، في الوقت الذي لا يجرؤ فيه أحدٌ في الغرب على وصف الموقف الإسرائيلي المعادي للعرب بأنّه موقف متشدّد وإرهابي. تلك هي نظرة الغرب للصراع العربي الإسرائيلي، فلماذا نأخذ مقاييس الغرب لنحاكم بها سياسة العرب نحو إسرائيل؟

فإذا كانت السياسة تقتضي تعدد المواقف والمراوغة التي تمكّن السياسيين من التشدد حيناً، واللين والتساهل وقبول الحلول الوسط أحياناً أخرى، فإنّ الالتزام بالمبدإ والحق يمنع تبديل المواقف، ويمنع التساهل في اتخاذ القرار السياسي. فالسياسة والثقافة متلازمتان في معركة الحرية والنضال... ولهذا فلا بدّ من اتّخاذ موقف واحد يلتزم جانب الحق، ويتفق فيه السياسيُّ والمثقّف...

يفصل أدينا أدونيس بين السياسة والثقافة ويجعل للسياسي دوراً، وللمثقف دوراً مختلفاً ليس هو التساهل وإنما هو «تحريك أفكار وطرح رؤىً» ليكون هذا الموقف بديلاً عن التشدد الذي يتميز به السياسي ويصح أن يوصفَ به المثقف.

غير أنَّ ما كتبه الدكتور سهيل من كلمات رافضة للتطبيع مع العدو يقع في دائرة العمل السياسي المتشدد، ولكنه يتميّز في الوقت نفسه بتحريك أفكار وطرح رؤى في الثقافة العربية وفي الواقع العربي الرافض. وهذه في تقديري ما يجب أن تكون مهمةُ السياسي ومهمة المثقف معاً وهو ينظر لواقع السياسة والثقافة متفاعلاً مع الأحداث بحسّه الوطني وانتمائه القومي والتزامه الأخلاقي.

ومثلما يجب أن يكون دور المثقّف والسياسي متشدداً في الدفاع عن الحرية، فإنّ دوره يجب أن يكون فاعلاً ومؤثراً في تحريك أفكار وطرح رؤى عن طريق الحوار مع أعداء الثقافة العربية الذين ليس من الضروري أن يكونوا يهوداً. فأعداء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية شتات، وقد يكون من بينهم عرب وهم ينطلقون من مشارب متعددة ومدارس مختلفة، وهؤلاء يمكن الحوار معهم شتاتاً أو متحدّين.. ويمكن حضور مؤتمراتهم والعمل الجادّ على تبصيرهم بالواقع والثقافة العربية وتحويلهم من منحازين للتيّار اليهودي الغربي إلى محايدين إن لم ينحازوا إلى جانب العرب حتى يستقيم فكرهم حسب المنطق الديمقراطي الذي يدفع المتحاورين للتفكير بحرية واحترام الرأي الآخر واتّخاذ الموقف الإيجابي المقنع. والدخول في حوار مستمرّ مع هؤلاء المثقفين الغربيين مفيد من الناحية الثقافية والسياسية.. وقد استفادت إسرائيل عبر سنوات طويلة من هذه المؤتمرات

(*) تعليق هيئة تحرير **الآداب**: ما قصده أدونيس ليس رداً على مقالة صاحب المجلة، وإنّما هو مقالة كتبها تلبية لرغبة ادريس في أن يكتب ادونيس رأيه في قضية التطبيع..